محمد كرد علي في مصر

الأستاذ أنور الجندي

إنها لسعادة كبرى أن تشرفوا مثلي بالاشتراك في هذا المهرجان الضخم لإحياء ذكرى رجل من أجل رجال الفكر العربي الإسلامي المعاصر والحديث معاً في بلادنا العربية . مجاهد ظل أكثر من خمسين عاماً من الزمان يجالد في سبيل ترقية هذه الأمة وحماية لغتها وحفظ كيانها وبعث تراثها فكان له على هذا الجيل الحاضر كله دين قائم في الأعناق سواء في مصر أو سوريا أو أي جزء آخر من هذا الوطن الكبير .

وإنا لنعترف في مصر بفضل هذه الأسرة الشامية التي عاشت في تلك الفترة قبيل بدء هذا القرن وخلاله والتي كان لها في الصحافة والثقافة أعظم الأثر وخاصة أسرة الشيخ الجليل طاهر الجزائري وتلاميذه وأحبابه : رشيد رضا وكرد علي ومحب الدين الخطيب وعبد القادر المغربي . ذلك أن هذا الشيخ هو بمثابة العروة الوثقى لهذه الجماعة التي جددت الفكر وجددت السنّة وأقامت منهج الفكر الإسلامي الحديث على أصوله الأصيلة ووفق جوهره الأمثل ، وإن كان الشيخ الجزائري قد جاء من الجزائر والمغربي من المغرب وكرد علي من العراق في المشرق فإن ذلك كله إنما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يؤكد وحدة هذه الأمة ووحدة فكرها ويمثل مجدداً تلك الحقيقة التي تقول إن الفكر الاسلامي العربي إنما يصنع رجاله فيرفعهم فوق العروق والأجناس والعصبيات إلى أفق الوحدة والإخاء الانساني. وفي ضوء هذه الحقيقة ننظر إلى العلامة محمد كرد علي في تراوحه بين مصر والشام من ناحية وبين دمشق وكل أجزاء البلاد العربية والاسلامية.

ولا ريب أنه مدين ومعترف بدينه للشيخ طاهر الجزائري وقد سجل هذا بوضوح كامل في مقدمة كتابه (كنوز الأجداد) حيث قال:

إلى روح من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم: صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري.

والحق أن الشيخ الجزائري العملاق لم يكن قوي الأثر في هذه المجموعة من رجال الشام وحدها ولكنه كان عميق الأثر في المجموعة التي عرفها وعاشرها في القاهرة خلال أربعة عشر عاماً أقامها في مصر وقد ألهب وجدان من عاشروه خاصة الأحمدان: أحمد تيمور وأحمد زكي الملقب بشيخ العروبة، ليس بأسلوبه وحديثه فحسب، ولكن بأسلوب عيشه ونظام حياته فقد عاش في مصر لا يقبل عطاءً من أحد مهما جل أو صغر، وإنما جعل اعتماده في عيشه على الكتب التي اقتناها في حياته فقد أخذ يبيع منها بالتدريج ويسمح لنفسه ببيعها إذا تأكد أنها تحفظ في معاهد عامة كدار الكتب والخزانتين التيمورية والزكية في القاهرة فان معظم نفائس خزانته نقلت إليها وتمزز الشيخ أثمانها نحو أربع عشرة سنة وكان اشتراها في صباه بأثمان بخسة فارتفعت أسعارها عشرة أضعاف أو أكثر (١).

(١) كنوز الأجداد: محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولعل وجود الجزائري في مصر هو الذي دفع الكثيرين إلى ورودها وإن كان رشيد رضا قد وردها ١٨٩٨ وكرد علي ١٩٠١ أما هو فقد قدمها ١٩٠٧ وأقام بها إلى عام ١٩٢٠ .

ولا ريب أن أسلوب حياة الشيخ طاهر الجزائري يعطينا كثيراً مما نود أن نتعرف إليه في حياة كرد علي من إبائه وتعاليه على التبعية والتزلف ويؤكد كرد علي وهو يستعرض حياة الشيخ الجزائري على هذا المعنى ويرمىء إلى اطراءه في حياته هو حين يقول : ولا أكون إلى المبالغة إذا قلت إن عزة النفس ، وهو الخلق الذي ندر في علماء المسلمين لعهدنا ، كان مما تفرد به فقد كان له إباء الملوك الصالحين وزهد الزاهدين العابدين . وهو شبيه به في عقد الصلات الواسعة مع كل أهل العصر ، على اختلاف أديانهم وجنسياتهم وكان كذلك مثيلاً له وشبيهاً في قول كلمة الحق دون أن يخشى لومة لائم .

لقد عاش العلامة محمد كرد علي في مصر سنوات ما بين ١٩٠١ و ١٩٠٨ جاءها ثم غادرها ثم جاءها مرة أخرى ثم غادرها بعد إعلان الدستور العثماني ولكنه ظل متصلاً بها بعد ذلك حتى وفاته سنة ١٩٥٣ ، لم تبرح خاطره لحظة ، ولم يمر عام أو عامان دون أن يردها ويشارك في أحفالها ومؤتمراتها ، وكان إلى آخر لحظات حياته متابعاً لما ينشر بها من فكر وكتب وصحف ، يعلق عليها وينصح ويوجه ، إيماناً منه بالنهضة العربية الفكرية ودعماً لها .

ولقد كان حريصاً على أن تطبع مؤلفاته في مصر ، وأن يقول رأيه في كل ما يطرح في صحفها أو مجتمعاتها من رأي . وقد حفلت الصحف بآثاره منذ عام ١٩٠١ إلى نهاية حياته ؛ نشرت له المؤيد والأهرام والثقافة والرسالة والمقتطف والهلال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد اتصلت أسبابه بالمحبة والمودة بعشرات من قادة الفكر المصريين منهم والذين أقاموا في مصر ، وكان لهم وفياً وبهم حفياً ، وقد ضمهم إلى المجمع العلمي العربي الذي أنشأه وتولاه منذ عام ١٩٢٠ وكتب عن أعلامهم فصولاً مطولة وألقى عنهم محاضرات .

ومن أهم هؤلاء الأحمدان المصريان المحدثان (أحمد تيمور وأحمد زكي) وذلك على نسق الأحمدين المصريين القديمين (أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون وأحمد بن يوسف المعروف بابن الداية مؤرخ بني طولون) كما كتب فصولاً مطولة عن أحمد فتحي زغلول والمراغي ومحمد عبده .وكان حتى آخر أيام حياته مليء القلب بالحنو والمحبة لأصدقاء القلم يردد أسماءهم ويجدد العهد بهم ، وينشىء له صداقة مع الأجيال التالية لجيل الرواد فيذكر: محمد عبد الغني حسن وشوقي ضيف وجمال الشيال وسعيد العريان وسيد قطب وعلي أدهم .

— ١ —

عاش محمد كرد علي في مصر حياة خصبة ، فقد شارك مشاركة فعلية في قيادة دفة الصحافة فتولى الإشراف على صحف ثلاث : هي (الرائد — الظاهر — المؤيد) .

وفيها أنشأ مجلة المقتبس وأصدرها ثلاث سنوات في القاهرة ثم والى إصدارها في دمشق بعد عودته إليها ١٩٠١

يقول : أول مرة دخلت مصر قاصداً زيارة آثارها ومصانعها والتعرف إلى رجالها في الطريق إلى باريس ، عرض عليّ صاحب جريدة (الرائد المصري) نصف الاسبوعية (نقولا شحاده) بواسطة صديقي الأستاذ رشيد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رضا صاحب المنار أن أحرر جريدة الرائد وقد جعلها واسطة للطعن في أصحاب المقطم ، وكانت جريدة الرائد من جرائد المعية تصطنع الطعن بالمحتلين وكأنها ابنة جريدة المؤيد أو ذيلها وكان صاحب المؤيد يعطف على صاحب الرائد المصري .

هذه تجربته الأولى . ثم عاد إلى الشام بعد عشرة أشهر .

وهبط مصر للمرة الثانية عام ١٩٠٥ عازماً على أن يصدر المقتبس شهرية تبحث في العلوم والآداب وكانت صلته قد توثقت بالشيخ علي يوسف وبأصحاب المقتطف وكان يكتب في المؤيد وفي المقتطف .

وقد دعاه الأستاذ محمد أبو شادي صاحب جريدة الظاهر اليومية للعمل معه في القلم الفرنسي بعد أن جرى اختباره في ترجمة البرقيات التي قام بترجمتها في أقل من ربع ساعة . وكان يعمل معه في (الظاهر) الأستاذ محمد لطفي جمعة المحامي وكان يترجم للظاهر من الانجليزية . وفي هذه المرحلة أخذ يترجم من الصحف الفرنسية والتركية ويكتب المقالة السياسية والاجتماعية والأدبية وقد رأس تحرير الظاهر بعد خمسة عشر يوماً من العمل بها . وأصدر المقتبس الشهري ، وقد دعاه الشيخ علي يوسف ليعمل معه ، فقال له : إن صاحب الظاهر قد ولاه رئاسة تحريرها وصرف الرجل الذي كان قبله ، واعتمد عليه فلا يسعه أن يتركه . ولما كان في المؤيد مع علي يوسف أصدقاء يعزهم منهم محمد مسعود وحافظ عوض فقد خشي أن يكون عمله في المؤيد محرجاً لهم حيث يتولى رئاسة التحرير ، بينما هما صاحبا الفضل في إنشاء المؤيد وهما في غاية الكفاءة علماً وأخلاقاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول : كيف يجوز أن أرأسها وماضيها في المؤيد ماضيها ، وهما مصريان أعرف مني بما ينفع جريدة مصرية .

ولما خرج مسعود وعوض ، وعرض عليه العمل في المؤيد قبله بزوال الحرج الذي كان قد أحس به لوجودهما ، وقد أشرف على موضوعات الأدب والسياسة والتاريخ ومقالات المؤازرين وكتابة الافتتاحيات إذا اقتضت الأحوال .

ونرى أن تحريره للمؤيد هو الدعامة الثانية لشهرته بعد مقالاته في المقتطف .

ولا ريب أن هذه الوقائع تعطي صورة واضحة لنفسية عالية في العفة والكرامة والخلق ثم يجيء بعد ذلك دوره في العمل من أجل خدمة مصر وحماية القيم الأساسية .

وقد شارك في ذلك بجهد واسع فقد حارب مع المحاربين « دنلوب » مستشار المعارف وانتقد الدور الذي كان يرمي إليه في تأخير الدروس العربية .

يقول : فأدرك رجال ذلك الدور وناشئوه ما يحمل قلبي من حب مصر ، فأعطوه ثقتهم وصداقتهم وفتحوا له قلوبهم واطلعوه على ما لا يطلع عليه إلا خاصة الخاصة .

— ٣ —

وقد أقام العلامة كرد علي في مصر مشاركاً في النهضة الصحفية والفكرية فكانت له ندوات ومجالات عديدة اندمج فيها وتعرف فيها إلى الكثيرين واكتسب منها خبرة وتجربة .

● كانت ندوته الأولى هي « بيت الشيخ محمد عبده » في عين شمس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومحاضرته في الرواق العباسي ، ومجالسه في بيت أحمد تيمور . وكان رفيقه في هذه الندوات الشيخ محمد رشيد رضا . وكان يشهد هذه الجلسات الحافلة : حسن عاصم ، وقاسم أمين ، وفتحي زغلول ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمد المهدي وحسن المنصوري ، وأحمد السكندري ، وسعد زغلول ، وحفني ناصف واسماعيل صبري ، ومحمود سامي البارودي ، وعلي بهجت ، واسماعيل رأفت ، وعبد العزيز محمد ، والسيد محمد البيلاوي ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد إبراهيم وعبد الوهاب النجار .

يقول : هذا المجلس كان المرحلة الأولى التي فتحت أمامي باب الدخول إلى المجتمع المصري وتشرفت بعشرة هذه الطائفة الممتازة .

ولقد أحب كرد علي الأستاذ الإمام ، وأحب أحباءه وكره خصومه حتى ليقول : إنه لم يقترب من (إبراهيم المويلحي) وهو من أبرز الكتاب في ذلك الحين لأنه كان يراه ينال من الشيخ محمد عبده ويتقول عليه ويضع عليه أموراً لم يفعلها : « كنت يومئذ أعشق الشيخ وأفتخر بالانتساب إليه وأعجب ببلاغته ، وكنت أحضر دروسه في التفسير مرتين في الأسبوع في الرواق العباسي في الأزهر وأغشى مجلسه الخاص في داره بعين شمس مرة في الأسبوع » .

ويتحدث عما يدور في مجلس الشيخ الإمام فيقول : قال أحدهم : أرى إبراهيم المويلحي في هذه الأيام ساكتاً عن مولانا الأستاذ . قال الشيخ : أنا أحمد الله على ذلك ولولا أن الأسد مصاب بالنسيان لافترس جميع الحيوانات .

ومن رواد ندوة الشيخ الإمام الذين عجب لأمرهم كرد علي الشيخ محمد شاكر الذي كان يقبل راحة الشيخ من قفاها وباطنها ويبالغ في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

احترامه ، بينما كان معروف أنه من خصوم الشيخ قال : لاحظ الشيخ اهتمامي فما زادني على نظرة بابتسامة ، وعلمت بعد ذلك أن الشيخ هو الذي أشار إلى الشيخ محمد شاكر أن يغمزه في بعض الأحايين ويظهر للملأ أنه من خصومه ليقتنع القصر أنه وإياه على طرفي نقيض .

● الندوة الثانية : « بعكوكة وحيد الدين الأيوبي » .

ويروي الأستاذ كرد علي ذكرياته عن هذه الندوة فيقول :

عرفت صديقي وحيد الدين الأيوبي وهو وأنا في ميعة الشباب وكان من أبناء الأعيان المفكرين والمثقفين ، تعارفنا زمناً ثم التقينا وإذا به رئيس جمعية جهرية سماها اسماً غريباً « البعكوكة » وبعكوكة الناس مجتمعهم على ما في القاموس ، وكانت هذه البعكوكة تلتئم كل ليلة في قهوة متواضعة من منعطفات شارع إبراهيم باشا ثم انتقلت إلى قهوة السلام من نفس الشارع ويبدأ اجتماع أعضائها من بعد العشاء وينفضون في ساعة متأخرة ولايقل أعضاؤها المواظبون عن ثلاثين رجلاً : من محامين وأطباء ونواب ومؤلفين وأعيان أصحاب أطيان : اجتماع للمرح والتنادر وسماع الأخبار فإن بعكوكتهم فوق الأحزاب وفوق السياسة .

تلك كانت البعكوكة المفضلة التي ظل يختلف إليها كلما عاد إلى مصر وذكرها في مذكراته مرات ، متحدثاً عن خفة أرواح رجالها وتنكيتهم، ناهيك بخفة روح محجوب ثابت . يقول إن وحيد كان يكتب في الأهرام قطعاً لطيفة في اللغة والأدب والسياسة ومنها تعليقه على تصريح لأحد الساسة البريطانيين حين قال :

(إن الانجليز يرابطون في مصر لحماية الاستقلال)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال إن عندنا الآن إذاً احتلال واستقلال . عندنا احتقلال . وكثر السائلون عن هذا المصطلح وعما إذا كان له أصل في اللغة وهنؤوه على توفيقه للعثور على هذه اللفظة الجميلة ، وعبثاً حاول أن يقنعهم أنها لفظة وضعت وضعاً وما كان يرضى أن يقول إنه وجدها في معجمات اللغة .

● الندوة الثالثة : هي ندوة السيد توفيق البكري نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية . وقد شارك فيها وكانت له بالسيد البكري صلة وثيقة .

وهو يصوره حين التقى به يقول : فرأيته متكلماً منطيقاً حلو الحديث يمت إلى الأدب بصلة قوية ، وهو أقرب أن يكون شاعراً منه إلى أن يكون ناثراً وكذلك مجلسه فهو مجلس أقرب أن يكون مجلس أدب من أن يكون مجلس رجل سياسة ، ويجيد الفرنسية إجادة حسنة .

يقول : سألت عنه أستاذه الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وكنت أعلم أنه أخذ عنه كثيراً وأن بينهما صحبة وثيقة فقال لي :

ما رأيت رجلاً فتح الله عليه بغلط مثل توفيق البكري في كتابه « أراجيز العرب » فهو من أوله إلى آخره مغلط . وقال : إنه ليس في مصر من يفهم لغة العرب غير اثنين : محمد عبده وأحمد تيمور .

ويروي العلامة كرد علي : أن السيد البكري بعث إليه يستدعيه إلى داره لغرض مهم فذهب الفكر حالاً إلى أنه يريد أن يستشيرني في مسألة خاصة ، وقدم لي مبلغاً من المال لمعاونتي على إصدار المقتبس : فقلت له : يا صاحب السماحة : إن للمجلة رأس مال ودخلها يفي بخرجها وشكرته وظهر عليّ الانقباض ثم التفت وقلت له :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثق إن جريدة الظاهر لا تدخل في مسألتكم وهذه مسائل لا تنفع القراء (وكنت رئيس تحريرها) وليس من مصلحة الجريدة أن تخوض فيها فسرّ لذلك ، فانصرفت ولم ألقه بعدها .

● وتحدث عن ندوة قهوة اسبلندر بار حيث كان يجتمع فيها أقطاب الصحافة إذ ذاك : محمد مسعود ، وحافظ عوض ، وداود بركات ، ويوسف الحزن ، وصادق عنبر ، ومحمد السباعي ، وسليم سركيس ، وتوفيق حبيب .

● كما تحدث عن قهوة متاتيا وجماعة دار العلوم : محمد المهدي ، وأحمد الاسكندري ، ومحمد الخضري ، وعبد العزيز جاويش ، وحسن توفيق عدل ، وسلطان محمد ، وحفني ناصف ، وأحمد إبراهيم ، وحسن منصور ، ومحمد دياب ، ومحمد عبد المطلب ، ورأسهم الدكتور عثمان غالب .

● وتحدث عن جماعة بار اللواء أمام جريدة الأهرام وما لقي بها من أرباب الثقافة العالية .

● وكان لكرد علي صداقة عميقة بزعماء الاصلاح والتجديد في الأزهر وفي مقدمتهم المراغي والزنكلوني وكان معهم على خلافهم مع الشيخ الظواهري .

ويرجع هذا إلى موقف الشيخ الظواهري منه حين طلب إليه الاعتذار عن إلقاء محاضراته في الجامعة الأمريكية وحذف له بعض جمل منها .

وهو معجب بالشيخ الزنكلوني ، وقد حضر معه دعوات كثيرة عند الشيخ اللبان والشيخ المراغي .

● وهو معجب بكل أهل الأصالة في كل ميدان وممن يحبهم «أمين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرافعي » يقول : عرفت أمين الرافعي وطنياً صادقاً يخدم مصر وسياسة مصر ويخدم الاسلام والمسلمين بروحه وقلمه ونبوغه ، وعرفت أنه شريف بكل ما في الشرف من معنى ، وقد عرض عليه عشرة آلاف جنيه من يحيى إبراهيم رئيس الوزراء معونة لجريدته التي كانت في حاجة إلى العون ، فرفض ، فقيل له لا تغير خطتك فقال : إني ما أخذت شيئاً من أحد بدون عوض . ولابد أن يعوّد نفسه لأن يأخذ شيئاً من أحد .

كما عرض عليه فتح الله بركات التكفل بوفاء ديونه على أن يبقى حراً فلم يقبل وهو في أشد الضيق . وبعد أيام توقفت جريدة الأخبار ، حتى قالت إحدى كبريات الصحف الانجليزية لما نعت أمين الرافعي : إنه مات رجلٌ يقلّ جداً في العالم من لهم مثل أخلاقه .

وهكذا كان كرد علي يحب النماذج العالية في الخلق . وتلك شميلة من شمائل شيخه طاهر الجزائري .

- ٣ -

لقد كان لكرد علي موقف واضح صريح من أهل الفضل ، وموقف صريح واضح من أهل الباطل ، فهو من أهل المثل العليا وأصحاب الأصالة وهو لذلك يحب النماذج العالية من الخلق وسيرته وحياته وذكرياته كلها حافلة بهذا الموقف الذي لا يتخلف .

ومن ذلك محبته للأمير عمر طوسون وإعجابه به وقد نوّه به في مذكراته وأشار بالتفصيل إلى ما دار بينهما من حوار قال : لما لقيته سألني سؤالين : كيف قسمت الديار الشامية بعد الحرب العامة الأولى ؟ وهل صح ما نقلته في وصف حكومة إبراهيم باشا في الشام ؟ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أجاب كرد علي في إفاضة ، وخاصة فيما يتعلق بابراهيم باشا وتقديره له ولعمله في الشام مما عرف عن عدل حكومة إبراهيم باشا في أهل سورية وقد ودّعوه بدموعهم يوم أن غادر البلاد . وهو يذكر سجايا عمر طوسون في مذكراته بافاضة ويذكر له تعليمه لشباب السودان وبناء المساجد بها .

ومحبته وحديثه وإعجابه بالمرحوم أحمد تيمور يفوق كل وصف فهو عنده مثلٌ عالٍ من حيث الفضل والخلق والنبل ولاريب فإن تيمور كان مؤمناً شديد الايمان بهذه الأمة ، غيوراً عليها، وكانت مودته للشيخ طاهر الجزائري تفوق الحد ولقد كتب مقاله الأحمدان : عن أحمد تيمور وأحمد زكي فكشف عن جوهر الرجل ونبالة قصده ، وطهارة خلقه بالمقارنة إلى شيخ العروبة الذي كانت تغلب عليه مظاهر الشهرة والتفاخر والاستعلاء .

وكان كرد علي يؤمن بالصداقة على نمط عال من الحب والتضحية والوفاء ، عامل به كل من لقيه وعرفه وإن كان لم يجد في كثير ممن عرفهم مثل وفائه وتضحيته . ولذلك فقد بدا وكأنما هناك عقوق ظاهر وإن كان هو تفاوتاً في درجة الصداقة والإخلاص . أما كرد علي فهو ممن يؤمن بأسلوب خصوص الخصوص ، ويرى المودة في أعلى مراتبها بينما كان بعض من أحب وأخلص يؤمنون بالحد الأدنى للمودة فكان هذا بالنسبة إليه عقوقاً يستحق النقد والتشهير .

فهو قد أدخل كل أحبابه وأصدقائه في مجمع دمشق ، وأولى اهتمامه بآثارهم وإنتاجهم وأشاد بهم ، وكان يرى أن من حقه عليهم أن يعاملوه بالمثل ، ولكنهم عجزوا عن مجاراته في أسلوب الصداقة والود الرفيع ، ولعلهم كانوا في منزلة العموم أو الخاصة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبلغوا منزلته العالية في الوفاء التي نطلق عليها « خصوص الخصوص » إن صح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا التعبير . ولقد ضم العلامة كرد علي إلى مجمع اللغة العربية بأخرة ، عام ١٩٤٤ وكان له أمل في أن تنشر الرسالة والثقافة عن مؤلفاته وأن تطبع لجنة التأليف والترجمة آثاره ، ولكن هذه المؤسسات الثلاث قصرت في ذلك وهو بطبيعته حاد الطبع عجول ، متحمس ، يقاييس الناس على مشربه وأسلوبه وعاطفته ، ومن هنا كان خلافه مع الأحمدين المصريين الأخيرين : أحمد حسن الزيات وأحمد أمين . وإن كان له وجه في الخلاف مع هيكل والمازني ومع لطفي السيد .

وكان كرد علي ممثلاً للشام في كثير من الأحفال والمؤتمرات ، مثل سوريا في حفل تكريم أمير الشعراء شوقي ، وفي عديد من المناسبات .

وكانت له صلة بكبار الحكام وقد عرض عليه العمل في القصر مرات ولكنه كان حريصاً على أن تظل علاقته بمصر علاقة أدب وفكر وليست علاقة سياسة .

عرف الخديوي عباس حلمي الثاني وعرف فؤاد وفاروق .

يقول : أبيت سكنى مصر مع أني أجد بين ظهراني إخواني فيها من السلوى ما لا يتيسر لي أن أنعم بمثله في بلدي . وينشد :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

وفي القاهرة أخرج من المقتبس ثلاث مجلدات وطبع بمصر عديداً من كتبه : القديم والحديث ، وغرائب الغرب ، والاسلام والحضارة العربية .

وكان كرد علي يتعامل مع علماء الأزهر على النسق الذي أشاده وأعلاه في الشام الشيخ طاهر الجزائري بالنسبة للتحرر من البدع والتقليد ، وهو اتجاه كان قائماً في مصر أيضاً عن طريق الشيخ محمد عبده والسيد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رشيد رضا وكان له معارضون كثيرون من شيوخ الأزهر في ذلك الحين.

وإذا حاولنا أن نتعرف إلى خلق كرد علي في مودة الناس وحبهم وعقد الصلات بينهم على هذا النحو الواسع العريض وجدنا ذلك في أسرته فقد أشار إلى أن والده في آخر أيامه أحصى له أكثر من ثلاثمائة صديق طوتهم الحرسا (يريد الأرض) وأصبح بعدهم غريباً .

وقد أحصى كرد علي في مذكراته عدداً كبيراً من أصدقائه وأحبابه في مصر والشام وغيرهما لا يقل عما أحصى والده .

— ٤ —

أبرز ما تتمثل فيه شخصية محمد كرد علي — ونحن لا نزال في إطار حياته في مصر — وضوح شخصيته وصراحته وجرأته في الأخذ على العلماء طابع المصانعة والتزلف . وقد كان له في ذلك مواقف صريحة واضحة أبرزها موقفه من عبد العزيز فهمي في مسألة الحروف اللاتينية فقد واجهه في قوة وجرأة بينما تراجع الكثيرون عن الكشف عن زيف الدعوة وبيان أخطارها . وقد سجل هذا الموقف في مذكراته حين أشار إلى دور المجمع في مصر أواخر عام ١٩٤٤ .

ومما قاله كرد علي في هذا الموقف :

أرجو رصيفي أن لا يجاوز من موت عربيتنا الحسناء بفعل نشر لغات الأجانب بين أظهرنا وألا يدركها هذا المجمع ولا عشرون مجمعاً من مثله ، فإن هذا تشاؤم غريب ، واللغة كل يوم تزيد انتشاراً على الألسن والأقلام. ولغة حرسها القرآن هذه القرون الطويلة لا يخشى عليها البوار وهي تزيد قوة على الأيام . واستطرد يقول : يقول زميلي (أي عبد العزيز فهمي)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إنه يوشك أن تغزونا اللغات الأجنبية فنترك لغتنا ونستعيض عنها بلغة من لغاتهم ، وهذا خوف لا محل له ، لأن العربية تزداد كل يوم رسوخاً في نفوس أهلها بفضل النهضة التي نهضناها وبفضل توفر أسباب التعليم والنشر .

ومما قال : إن لغتنا كانت سبب تخلفنا في مضمار الحضارة . وما أظن شيخ القضاة إلا ويعرف أن لانحطاط الشعوب الاسلامية في بعض مظاهرها عوامل أخرى لا علاقة لها بحروف الكتابة وقواعد الرسم . وإن برهانه هنا ضعيف لا يصح الاستدلال به على ما هو بصدده . إنه يعرف كما نعرف جميعاً أننا أنشأنا مدنية شهد بعظمتها كل من قاموا بعدنا ، وما حال هذا الخط ومن قبله القلم الكوفي دون الانتفاع بما آل إلينا من علوم القدماء ، وما وضعناه نحن من علوم وآداب كلفتنا الهيل والهيلمان كما يقول زميلي الحصيف.

وتبرم حضرته من تعدد اللهجات العربية ، وأنا أبشره بأن هذه اللهجات يقل عددها ولا يزيد كما ادعى لأنها تقترب كل يوم من الفصحى بفضل المدرسة والجريدة والكتاب والخطبة والمذياع ، أي أن اللهجات الدارجة تتضاءل أمام اللغة الأدبية ، والفصحى تتغلب على العامية ، اليوم وبعد اليوم .

وما أدلى به لإثبات قضية التمثيل لنا بالأتراك هو في الواقع حجة عليه لا له ، فالأتراك لما أخذوا بالحروف اللاتينية وقضوا على الأمية فيما زعموا بهذه البدعة الجديدة التي ابتدعوها قطعوا كل صلة بينهم وبين ماضيهم وعمر هذا الماضي لا يقل عن ستمائة سنة ، وهل الشعوب إلا تكملة ماصنع أجدادها وورثوه عنهم . وشأن العربية غير شأن التركية لأن العربية تحمل تراث العالم الإسلامي كله ، وإذا عملنا عمل الأتراك نقضي على تراث علمي وأدبي وديني دام مطرداً خمسة عشر قرناً مما لم يعهد لأمة بمثله . وقد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خسر الأتراك أي خسارة بما أتوا من العبث بلغتهم فلا نريد أن نتقبل مثالهم ولا يجدر بأنفسنا الاقتداء بأهل لغة من اللغات ، فمنحانا غير منحاهم ولغتنا تتسامى على جميع لغات الشرق .

وكذلك كان لكرد علي دوره الواضح في التحذير من الأخطار التي تواجه العاملين في مجامع اللغة وقد لخصها في إحدى دورات مجمع اللغة العربية في القاهرة في ثلاثة محاذير .

الأول : اختراع خط جديد يراد به الاستغناء عن الشكل .

الثاني : تبسيط قواعد اللغة العربية في اللغة والصرف .

الثالث : اختيار الحروف اللاتينية لكتابة الحروف العربية .

— ٥ —

ولقد كان كرد علي يحب مصر حقاً ، حباً خالصاً صافياً ، يرى فيه امتداداً لدعوته وفكرته وغيرته على اللغة العربية والحضارة الإسلامية وعلى تنمية مدرسة اليقظة ودفعها إلى الأمام . يقول في هذا المعنى : « لقد كنت منذ القديم ولا أتصور عندما أكتب إلا " فائدة كل عربي ولا أحصر كلامي في مصر والشام ومنهاجي يتناول الأقطار العربية جميعاً ، ولكن المعلومات عن مصر كثيرة فهي أوفر سكاناً ونظاماً وحضارة ، وكلما زادت صلاحاً زاد الإصلاح إلى جيرانها . وأنا أنادي مصر كما أنادي أهل بلدي ، والبلدان في نظري سواء ، يهمني مجموع الأمة ولا أخص القول حين أقول قطر دون قطر . وهدفه : أن يكون العرب دولة عظمى فيها كل ما في الدولة الأموية مثلاً من المقومات والمشخصات » .

وهو في حبه لمصر لا يمتنع عن نقدها في وجوه التقصير .

وهو مع حبه للشيخ محمد عبده لا يمتنع عن نقده في موقفه من الشيخ حسن الطويل صديقه الذي أغضى عنه بعد أن تسنم منصب الإفتاء ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذه دلائل الحب البصير ، القائم على الوعي والإخلاص .

وهو يعيب على هيكل والسنهوري أنهما عينا أنفسهما عضوين في مجمع اللغة وليس لديهما الوقت للمشاركة في أعماله .

وقد ظل حتى آخر أيامه يتابع النهضة في مصر ، ويجدد ذكرياته مع أعلامها . فإن آخر ما نشر له في العدد الذي نعي فيه من مجلة المجمع دراسة عن الشيخ محمد عبده . ومن قبله المراغي ، وفتحي زغلول .

ويمكن أن يقال : إن العلامة كرد علي كان يجمع بين خصلتين في وقت واحد هما : الصراحة إلى حد الجرأة في الحق ، وغلبة العاطفة .

ويصور هذا المعنى في ترجمته لحياته التي ألحقها بخطط الشام في عبارة واضحة حين يقول : « أخلص للصاحب وأخدمه خدمة خالصة وأغار على مصلحته وربما أرفعه فوق قدره حتى إذا بدرت منه بادرة سوء نحوي أو نحو المجتمع ألوي وجهي عنه إلى آخر الدهر » .

— ٦ —

وبعد فإن في هذا الحصاد الضخم الذي خلفه المرحوم محمد كرد علي عن مصر ورجالها وصحافتها وتاريخها ما يحتاج إلى مراجعة وتعليق ، ومنها وهو الأغلب ما يطابق النظرة الصادقة المنصفة ، وخاصة ما يتعلق بلطفي السيد وعبد العزيز فهمي وعمر طوسون وفيما ذكره عن السلطان عبد الحميد وعن عبد الرحمن الكواكبي ما يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر .

ولقد أحسست وأنا أراجع المذكرات لكتابة هذا البحث أنها حافلة بعشرات المواقف والآراء والنظرات التي نحتاج إليها في دراستنا لتاريخ أمتنا الإسلامية العربية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وترجع صلتي بالعلامة كرد علي إلى وقت بعيد فقد تناولته بالدراسة في موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر فكتبت عنه فصلاً مطولاً في كتاب (النثر العربي المعاصر) وتحدثت عن خطط الشام في بحث آخر وظلت سنوات طويلة أتابع نشاطه بين المجمعين : المجمع الذي أنشأه والمجمع الذي شارك فيه (بين دمشق والقاهرة) وراجعت كثيراً من فصوله التي كتبها في المؤيد وفصوله في الصحف المصرية والعربية ، وعرفت له قدره وجهاده وتميز المجمع العلمي العربي بخاصتي إحياء اللغة وإحياء التراث . وما زلت أشعر بالعرفان لمحبته للفصحى وجهاده من أجلها . وهو في هذا يؤكد النظرة القائلة بأن الفكر هو الذي يشكل العقلية وليس الجنس أو العرق ، ولقد كان الاسلام في عظمته هو الذي شكل أمثال كرد علي على مدى التاريخ فجعلهم جنوداً للغة القرآن وتراثها .

وأعتقد أننا في مصر - جماعة المفكرين — علينا دين كبير لأمثال الشيخ طاهر الجزائري ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي ومصطفى الشهابي رحمهم الله جميعاً وأجزل مثوبتهم . ولقد أعد الدكتور أحمد الشرباصي منذ سنوات أطروحة ضخمة عن (رشيد رضا) وأعد الشيخ محمود القاضي هذا العام أطروحة ضخمة لم تناقش بعد عن (محب الدين الخطيب) ونأمل أن يقوم غيرهم بإعداد أطروحات أخرى عن علّامتنا هذا العظيم الذي نحتفل به وعن شيخه الجزائري كفاء ما قدما من أياد بيضاء وجهود مشرفة وإضافات طيبة ما تزال حية نابضة معطاءة . والله من وراء القصد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net